معهد الآداب واللّغات

قسم اللّغة والأدب العربي

السنة الثالثة ليسانس

مقياس علم الأسلوب(محاضرة)

الأستاذ/ توفيق بركات

أولا: مهام الأسلوبية:

إنّ المقولة الشهيرة لـــــ"ــبوفون" عن الأسلوب: " إنّ المعارف والوقائع والاكتشافات تتلاشى بسهولة، وقد تنتقل من شخص لآخر، ويكتبها من هم أدنى مهارة، فهذه الأشياء تقوم خارج الإنسان، أمّا الأسلوب فهو الإنسان نفسه".

إذن التحليل الأسلوبي يميّز بين جانبين أساسيين يمثّلان الثنائية اللغوية هما: النظام والاستعمال الذي يتحدّد في الفرق بين اللغة كنظام يشتمل على الوحدات والأبنية والعناصر بوظائفها ودلالاتها، وبين مستوى الكلام الذي يقوم فيه المتحدّثون أو الكاتبون باستخدام هذا النظام والاختيار منه والفعل الفردي.

يشكّل علم الأسلوب/الأسلوبية، الجانب التطبيقي لعلم اللّغة الحديث، فالباحث اللغوي الأسلوبي، يقوم بتحليل العناصر المختلفة، التي تسهم في تشكيل أسلوب النصوص الأدبية، وهنا يكون لزاما عليه أن يعتمد النظرية الأسلوبية التي لها علاقة بالنظام اللغوي العامّ حسب ما جاء به "دي سوسير" .

1- تبحث الأسلوبية عن الخصائص الفنية الجمالية التي تميّز نصا عن نص آخر، أو كاتبا عن كاتب آخر، من خلال طاقة اللغة المحمّلة بخلجات نفسيه، وخواطر وجدانية.

2- تترصّد الأسلوبية مكامن الجمال والفنية في الآثار الأدبية، وما تحدثه من تأثيرات شتّى في نفس القارئ لمّا تسمو هذه الأثار عن اللغة النفعية المباشرة، إلى لغة إبداعية غير مباشرة، فنية وأكثر إيحاء وتلميحا، هذا يحدّد مجال الدراسة الأسلوبية، بينما يبقي الأسلوب

الوسيلة البيانية للكتابة، تتحقّق على المستوى الفردي، كما تتحقّق على المستوى الجماعي بل وتتمايز العوامل التاريخية للفرد أو العصر.

3- تسعى الأسلوبية كمنهج نسقي دوما إلى إلى محاولة مدارسة أساليب الكتاب اللغوي، ومدى تمايزها من خلال قدرة كل كاتب على التمايز في توظيف معجمه الفني من جهة، ومن جهة ثانية مدى استطاعته التأثير في المتلقّي عبر اللغة، حينها تكون هذه اللغة تحقّق انزياحات بشتّى أنواعها سواء أكانت معجمية أم نحوية، أم عرفية أم صوتية.

مبادئ التحليل الأسلوبي:

1/ الاختيار:

هو من أهمّ مبادئ علم الأسلوب لأنّه يقوم عليه تحليل الأسلوب عند المبدع، ويقصد بها العملية التي يقوم بها المبدع عندما يستخدم لفظة من بين العديد من البدائل الموجودة في معجمه. فاستخدام هذه اللفظة من بين سائر الألفاظ هو ما يسمّى" اختيار"، وقد يسمى "استبدال"، أي استبدال بالكلمة القريبة منه غيرها لمناسبتها للمقام والموقف. حيث يتّصل بهذا المبدأ شيء آخر هو ما يسمى بـــــ" "محور التوزيع" أو " العلاقات الركنية" ويقصد بها تنظيم وتوزيع الألفاظ المختارة وفق قوانين اللغة، وما تسمح به من تصرف، وهذه العملية هي التي يسميها جاكبسون: إسقاط محور الاختيار على محور التوزيع.

2/ العدول: ويسمى" الانزياح" أو"الانحراف" كما سمّاه ابن جني قديما، أو كما سمّاه جاكبسون "خيبة الانتظار"، ولهذا المبدأ أهمّية خاصّة في علم الأسلوب حتّى سمّاه بعضهم" علم الانحرافات".

وهذا المبدأ ينطلق من تصنيف اللّغة إلى نوعين: لغة مثالية معيارية نمطية متعارف عليها. ولغة إبداعية مخالفة للنمط المعياري السابق.

فالعدول هو: مخالفة النمط المعياري المتعارف عليه إلى أسلوب جديد غير مألوف، عن طريق استغلال إمكانات اللغة وطاقاتها الكامنة.

ويتّضح في هذا التعبير شرط هذا العدول حتّى لا يخرج عن الحدّ المقبول، وهو أن يكون العدول في حدود ما تسمح به قواعد اللغة، وكذلك يجب أن يكون هذا العدول له فائدة فليس العدول غاية في ذاته، إنّما المقصود منه إثارة السامع وتحفيزه على التقبل.

الأسلوبية واللغة:

إنّ علم الأسلوب يحدّد الممارسة والفعل. حيث اتّفق أغلب الدارسين على أنّ الأسلوب الفعل الفردي للغة، فالأسلوبية إذن هي المنهج النقدي اللساني الذي يدرس النص الأدبي دراسة لغوية لاستخلاص أهمّ العناصر المكوّنة لأدبية الأدب، إذ تجعل منطلقها الأساس النص الأدبي أي أنّ الأسلوبية تنطلق من النص لتصبّ في النص أو كما يقال قراءة النص لذاته.

يقف البحث اللغوي الحديث عند اللغة في شموليتها؛ أي في تداولها بين فئة اجتماعية معينة، فهذا البحث ينطلق من المألوف إلى غير المألوف ، وغير المألوف يتحقّق بخرق القواعد خرقا فنيا جماليا

نابعا من اللغة ذاتها، وهذا ما بحثت فيه الأسلوبية بشتّى اتّجاهاتها، محاولة تعليل المستويات الثلاثة: الكاتب، النص و القارئ، وفقا لعملية التلقّي ووظيفته التواصلية.ومن هنا اتّخذ الدرس اللغوي مساره نحو مبدأ الأصوات– المفردات– التركيبات.

بينما نحت "الأسلوبية"نحو دراسة العلاقات بين المستويات، ودرجة تمازجها ومدى علاقاتها ومسافة توزّعها، ثمّ يكون ذلك لهدف تال، وهو استشفاف القيم الفنية والجمالية من خلال التوجّه الخاص للظاهرة اللغوية.

المحاضرة الرابعة:

الأسلوبية واللسانيات

تمهيد:

بدأت الدراسات اللغوية تتميّز بالطابع العلمي مع مجيء لسانيات "دي سوسير" في مطلع القرن العشرين، والتي غيّرت مسار البحث اللغوي وأقصت الدراسة التعاقبية التاريخية للظاهرة اللغوية.

إذن تعدّ لسانيات "دي سوسير" هي القاعدة والعتبة لنشأة الأسلوبية حيث جاءت مع(شارل بالي)، وهذه اللسانيات نفسها أيضا قد صنعت للبنيوية التي احتكّت بالنقد الأدبي ومنها انطلقت شعرية (جاكبسون)، إنشائية (تودوروف)، وأسلوبية (ريفاتير).

كما اعتمدت كلّ هذه المدارس على رصيد لساني من المعارف، فإنّ الأسلوبية أيضا قد تبوّأت منزلة المعرفة المختصّة بذاتها أصولا ومناهج، ما دامت – في رأينا – أخصب المناهج وأقربها إلى الدراسات اللغوية الحديثة المعتمدة الوصف العلمي منهجا.

اللسانيات ومحاور التحليل الأسلوبي:

كما تعتمد اللسانيات في تحليلها للوحدة اللغوية ثنائية الدال والمدلول اعتمد التحليل الأسلوبي ثنائية المحور النظمي والمحور الاستبدالي.

– **المحور النظمي:** وهو الذي تنتظم عليه الوحدات اللغوية لتؤلّف سلسلة من الكلام، في المقاطع اللغوية، والكلمات والجمل.

– **المحو الاستبدالي:** وهو الذي تنتظم عليه العلاقات بين كل إشارة من الإشارات الموجودة في المرسلة الكلامية والإشارات الأخرى التي تنتمي إليها اللغة نفسها.

يقول جورج مولينيه: " إن الوحدة الأسلوبية هي المفردة، وإن الإشارة اللغوية تتكوّن من الدال والمدلول من الشكل الصوتي والمفهوم فيما يتعلّق بالصوت، إذ تهتمّ الأسلوبيّة بالتكرار المعبر لبعض النغمات والسّمات الصوتية والنبرات المميّزة والتراكيب الإيقاعية، أمّا بالنسبة للمدلول فلابدّ من التمييز بين النواة الدلالية والقيم الإيحائية.

مستويات التحليل الأسلوبي

التحليل الأسلوبي يستمدّ مستوياته من علم اللغة الحديث وهو علم اللسانيات، وهي مستويات عديدة سنذكر الأهمّ منها الذي يكاد يقع عنه الاتفاق بين الأسلوبين.

لذا فمستويات التحليل الأسلوبي قائمة على اللغة، فالأسلوبية من هذا الجانب تتناول النص الأدبي بالدرس والتحليل، وتحاول جاهدة أن تكشف بطريقة علمية و موضوعية عمّا به يستوي النص ليكون نصّا متميّزا عن سائر النصوص الأدبية الأخرى، تركيبا وإيقاعا ونغما ودلالة، ومن أجل ذلك فقد مضى وقت طويل عدّ فيه التحليل الأسلوبي مرادفا للتحليل اللساني، بل ذهب بعض الباحثين إلى القول بموت الأسلوبية كونها مصطلحات زائدة عن الحاجة في زعمهم.

وبما أنّ التحليل الأسلوبي مستمدّ منهجه الوصفي من اللسانيات، فإنّه يعتمد في تحليله على مستويات التحليل اللساني، ويكاد هذا الأمر يكون محسوما عند النقاد الأسلوبيين، بأنّ التحليل الأسلوبي يتّخذ من مستويات التحليل اللساني الذي وضعه (دي سوسير) للكلام، بأن الكلام تطبيق أو استعمال للوسائل والأدوات **الصوتية، والتركيبية، والمعجمية، والدلالية**.. خطوات في تحليله، منها تدرس لغة النص.

فالتحليل الأسلوبي ليس لسانيا وإنما هو يعتمده ويتكئ عليه في جملة ما يتكئ عليه من وسائل وطرائق وآليات، والوقوف على ما يقوم المحلل الأسلوبي بدراسته في هذه المستويات يعيننا على فهم أنماط التحليل، ففي كلّ مستوى هناك جملة من القضايا هي مادّة التحليل للنص المدروس، وتختلف من نصّ لآخر، وجملة هذه القضايا تتمثّل في:

1- المستوى الصوتي:

عندما ترجع لتحليلات الأسلوبيين المختلفة نجد جملة من القضايا يتعرّض لها المحلّل الأسلوبي في المستوى الصوتي تختلف من محلّل لآخر، ويمكن أن نشير إليها في نقاط موجزة قصد بيانها والتي منها: الإيقاع، الوزن، النبر، النغم، التنغيم، الإعلال، الإبدال، الوقوف، القافية، المقاطع، التوازن، التوازي، التكرار، المخارج، الصفات، وظائف الأصوات، وتعلق ذلك بالدّلالة والسياق.

2- المستوى التركيبي:

ويتعلّق بالجانب النحوي والصرفي، كدراسة الجملة؛ طولها وقصرها، والفعل والفاعل، والمبتدأ والخبر، والروابط، والعلاقات، والتقديم والتأخير، والحذف والذكر، والبنية العميقة والسطحية، وبناء الكلمة، والاختيار، الانزياحات، الوظائف النحوية، ونوع الأسلوب...إلخ.

3- المستوى المعجمي:

كإحصاء المفردات، ومعرفة مدلولاتها، والتطوّرات الطارئة عليها، وعلاقتها في التركيب، ومدلولاتها السياقية، وتحديد الحقول المعجمية الغالبة في النص، ثمّ الكشف عن دورها وأهمّيتها ضمن تفعيلها في السياق العام وعلاقاتها مع المستويات الأخرى...إلخ.

4- المستوى الدلالي:

ينطلق من الجانب المعجمي للوقوف على الدلالة الأصلية، ليرصد التطور الدلالي، ويظهر الانحرافات المستعملة، ويقف على استخدامات الألفاظ المختلفة، ومعرفة الحقول الدلالية، وبيان أوجه التوسع من البنية العميقة إلى البنية السطحية، ومن الدلالة المضيقة إلى الدلالة الموسعة، أو الدلالة بين الحقيقة والمجاز، ومدى الارتباط بين الدال والمدلول، وإبراز دلالة السياق...وغيرها.

آليات التحليل الأسلوبي:

الأسلوبية كغيرها من المناهج النقدية التحليلية تعتمد في مقاربتها على مجموعة من الآليات يمكن الحديث عنها في نقاط لأنّه من خلالها تبرز بعض الإشكالات أثناء عملية التحليل.

وآليات التحليل الأسلوبي هي آليات العلوم المتعلقة باللغة عموما، بل حتى بعض العلوم الأخرى كعلم النفس وعلم الاجتماع وغيرهما، ونقصد به استثمار المنهج التحليلي الأسلوبي ما في العلوم الأخرى- التي ترتبط بالأسلوبية- من إمكانات مختلفة، وتوظيفها في التحليل، على حسب كل مستوى.

من ذلك اعتمادا على علم النحو وما فيه من قواعد، من خلالها تنضبط قوانين الكلام، وبعدها يكون بوسع الأسلوبية أن تتصرّف فيه عند استعمال اللغة

فتوظيف الأسلوبية موضوعات النحو المختلفة أثناء التحليل، كالأفعال وأنواعها، والأسماء ومشتقاتها، والحروف وتقسيماتها، والتركيبات المختلفة؛ مثل الجملة الاسمية والفعلية، والشرطية، وتستغل توظيف التوابع في اللغة كالمضاف والصفة والحال.. وغيرها من مكونات اللغة المختلفة.

معنى ذلك أن الأسلوبية علم لساني يعنى بدراسة مجال التصرف في حدود القواعد البنيوية لانتظام جهاز اللغة.فـــ (الباحث الأسلوبي لا يمكنه أن يشرع في التحليل الأسلوبي دون الاستناد إلى النحو بكل فروعه، كالأصوات والتحليل الصوتي والصرف والتركيب والمعجم بالإضافة إلى الدلالة).

ولهذا السبب ينبغي امتلاك معرفة جيدة بالقواعد لأن ذلك يمثّل أداة لا يمكن الاستغناء عنها وهذا ما عبّر عنه (ماروزو) إذ أكدّ على أنّ الأسلوبية تغطي كلّ مجال اللغة، ويمكن إدراك الأسلوبية طبقا للتقسيمات التقليدية للقواعد والصوت والنحو والمعجم وتركيب الجمل.

والشيء نفسه مع البلاغة فقد أفادت الأسلوبية من الآليات البلاغية وتوظيفها توظيفا مباشرا أثناء التحليل، مثل التقديم والتأخير، والذكر والحذف، والفصل والوصل، والحقيقة والمجاز، والتشبيه والكناية والاستعارة..إلى غيرها من الآليات التي احتوت عليها علوم البلاغة الثلاث.

ويظهر ذلك جليا عند الحديث عن الاختيار والانزياح وبعض الظواهر الأسلوبية الأخرى، مثل التكرار وبيان نوعية الأسلوب وعند دراسة الإسناد(المسند والمسند إليه) وغيرها من الأدوات البلاغية.

كما أن التحليل الأسلوبي لا يمكن له الاستغناء عن علم الدلالة، لأنّ النص يتحرّك ضمن دلالاته، وعليه فإنّ الدلالة ركن أساس في الحدث الكلّ، فالمتكلم يهدف بالدرجة الأولى من كلامه إلى تبليغ رسالة معيّنة للمتلقّي تحمل دلالة ما، فالوظيفة الإنشائية تقوم أساسا على البعد الدلالي ما يجعل الدلالة هي المقصود الأبرز من إنشاء الكلام.